92 - السيدة فاطمة بنت المُجَلِّل

سبق إسلامها وهجرتها للحبشة

اسمها فاطمة، والدها المُجَلِّل بن عبد الله بن أبي قيس العامري، تزوَّجت من حاطب بن الحارث، وأنجبت له ولدين، هما: محمد والحارث ابنا حاطب. وقد كانت هذه الأسرة سبَّاقة إلى الإسلام، وشملتها قريش بنكالها، وأذاها الذي خصَّت به أتباع النبي ﷺ، ولما أسرفت قريش في التنكيل بالمؤمنين أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ليعبدوا الله في أمان، فإن حاكمها لا يُظلم عنده أحدٌ، وهو ذو قلبٍ رحيمٍ.

وخرجت بنت المُجَلِّل مع زوجها حاطب في قافلة المهاجرين، ومعها ابناها، ولما نزلوا أرض الحبشة سالمين تنفَّسوا الصعداء، وشعروا باطمئنان لم يعهدوه من قبل، وعاش المهاجرون سعداء، في صفاء وهناء، لكن أسرة فاطمة لم يطل بها المقام على هذا الحال، حيث دُهيت بموت زوجها حاطب على حين غِرَّةٍ فتركها وحيدةً مع ولديها اليتيمين، غير أن المهاجرين ما كانوا ليتركوا تلك الأسرة المفجوعة دون أن يقدِّموا لها العون والمساعدة من دون طلبٍ منها.

وصبرت الأرملة المسكينة على قضاء ربها، واستسلمت لمشيئته، وعكفت على تربية ولديها وفق أحكام شرع الله القويم، وقرآنه الكريم، وسنة النبي الكريم ﷺ، وكانت رغبة فاطمة أن تنشىء ولديها أحسن تنشئة ليفيا بعهد أبيهما وبعهدها لرسول الله ﷺ حين بايعاه على التمسُّك بالإسلام، ونشر رايته.

وأخذ الصغيران يكبران، وكم كان سرور فاطمة عظيماً حين ألفت

بعض المهاجرين يأخذونهما معهم أثناء سعيهم لكسب معيشتهم، ليبصِّروهما بالكسب الحلال الذي أمر الله به، وحضَّ رسوله ﷺ عليه.

ولما عاد المهاجرون من الحبشة كان رسول الله ﷺ قد خرج لفتح خيبر، وبعد أن فتحها الله عليه رأى موكباً قادماً نحوه فلما اقتربوا علم أنهم مهاجرو الحبشة وفي طليعتهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فاعتنقه رسول الله ﷺ وقال: «**مَا أَدْرِي بِأَيِّهُمَا أَنَا أَسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ؟**».

دعاء النبي ﷺ لها ولابنها

وقد خص رسول الله ﷺ فاطمة وابنها بدعاء الشفاء الذي كان رحمة لأمته فيما رواه إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ، وَيُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ فِي حَدِيثِهِ: ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّد بْنِ حَاطِبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أُمِّهِ أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْمُجَلِّلِ قَالَتْ: أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ طَبَخْتُ لَكَ طَبِيخاً فَفَنِي الْحَطَبُ، فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ، فَتَنَاوَلْتَ الْقِدْر، فَانْكَفأَتْ عَلَى ذِرَاعِكَ.

فَأَتَيْتُ بِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: بِأَبِي وأُمِّي يَا رَسُول اللهِ، هَذا مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ، وَهُوَ أَوَّل مَنْ سُمِّي بِكَ، فَتَفَلَ فِي فِيكَ، وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِكَ، وَدَعَا لَكَ، وَجَعَلَ يَتْفُلُ عَلى يَدَيْكَ، وَيقُولُ: «**أَذْهِبْ الْبَاسْ، رَبَّ النَّاسْ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغادِرُ سَقَماً**» فقالت: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ، حَتَّى بَرَأَتْ يَدُكَ[1].

وظلَّت فاطمة محافظةً على دينها، مطبقة لأحكامه حتى أتاها اليقين، رحمها الله وأحسن إليها.

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث محمد بن حاطب الجمحي/ برقم: (14906).